مقدمة الناشـــر

ســـلاح الفتنـــة الكبـــرى

في غمرة الأحداث، عندما يتسارع التيار، يطل رجل على الأحداث، يتأملهـا تأمل فاحص، يسترجع التاريخ، وقد وعاه.

فإذا أمسك بالقلم راح يكتب بفكره وقلبه، ناسجاً منها كتابه، ومهما حاولت أن تخفف من عباراته تجد نفسك عاجزاً عـن الاجتـزاء منهـا أو اختصـارها، أو تخفيفها لأنها تمثل لحمة واحدة، وهي حقيقة بأدنى تجلياتها، وتحار فيما تفعل.

لقد كتب المؤلف، وعاش الأحداث التاريخية القديمة، والأحداث المعاصرة.

لقد ترددت في نشر ما كتب، وحاولت التعديل فما استطعت، ولكن ما جـاء بالكتاب، سواء من حيث المحتوى، أو الأسلوب، أو الهدف الذي جاء مـن أجلـه، يجعلك تقف عاجزاً عن الاعتذار أو الرفض، فإذا كنت تعرف أن المؤلف لا يكتب إلا الحقيقة، فمن أين لك أن تحجبها عن الناس!

إنها أمانة، وأداؤها رسالة، فكان هذا الكتاب ...

اللهم فاشهد ،،،

الناشر

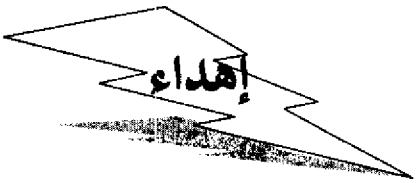

إلى جماهير أمتنا المؤمنة بإسلامها ، الواثقة من عزمها وإرادتها ، الصامدة والصابرة رغم كل الصعاب التي يواجهها بها أعداؤها وأعوانهم من الخونة المترفين الذين لا يؤمنون بحق أمتهم في البقاء والوحدة والقوة .

هذه هي الفتنة الكبرى الثالثة في تاريخنا ، وهي فتنة عصرية تدبرها القوى الأجنبية وتهدف إلى اقتلاع الإسلام من جذوره ، وحرمان المجتمع من أسباب القوة التي يمدها بها إسلامها ، ولكن أمتنا صابرة وقادرة على أن تجتاز هذه المحنة حتى ينهار أعداؤها من داخلهم كما أهلك الله من قبلهم من الطغاة والمستكبرين الذين قال عنهم القرآن : ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل : ٢٦] .

❋ ❋ ❋

مقدمة

الفتن ظاهرة قديمة خلال جميع عصور التاريخ شكت منها جميع الأمم والشعوب وما زالت الشكوى مستمرة .

أنواع الفتن :

وهي على أنواع متعددة : منها ما يكون داخلياً تشترك فيه طوائف وعناصر تنتمي لأمة واحدة أو شعب واحد .

ومنها ما يكون إقليمياً يقع بين عدة دول أو عدة شعوب متجاورة أو متقاربة في إقليم واحد من أقاليم العالم .

ومنها ما يكون أثره قارياً أو عالمياً تتأثر به جميع شعوب العالم أو إحدى قاراته .

موضوع دراستنا :

وموضوع دراستنا هو نوع معين من الفتن «العصرية» وهي التي تواجهها الأمة العربية الإسلامية في العصر الحاضر سواءٌ منها ما يكون داخلياً في أحد أقطارنا ، مثل الحروب الأهلية الدائرة في الصومال أو أفغانستان أو السودان أو الجزائر أو طاجيكستان وغيرها من جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية أو أذربيجان أو شمال القوقاز أو الشيشان . وكذلك الحركات الانفصالية في بعض جزر إندونيسيا أو جزر القمر والمؤامرات التي تشجع بعض الأقليات على الانفصال عن بعض الأقطار العربية أو الإسلامية مثل مشكلة الأكراد التي تهدد وحدة العراق وسوريا وإيران وتركيا . ومشكلة البربر التي أعدها الاستعمار الفرنسي أثناء احتلاله للمغرب والجزائر ومازال يواصل تغذيتها في كلا البلدين ، ومشاكل البلقان على اختلاف صورها .

ومنها ما يكون إقليمياً يؤثر في العلاقات بين الدول المتجاورة في منطقة واحدة مثل مشكلة كشمير بين الهند وباكستان ، ومشكلة الصحراء المغربية بين المغرب

الأقصى والجزائر وموريتانيا، والمشاكل الحدودية بين دول الخليج التي تسببت في حرب الخليج الأولى بين إيران والعراق والثانية بين العراق والكويت والسعودية. ومشكلة الجزر الثلاث في الخليج بين إيران والإمارات العربية ومشاكل الحدود بين قطر والبحرين وبينها وبين السعودية وبين إثيوبيا وإريتريا.

❁❁❁

الفتنة الكبرى الأولى:

إن المؤرخين قد أجمعوا على أن الفتنة التي أدت إلى القتال بين سيدنا علي وأصحابه وبين معاوية بن أبي سفيان ومن معه من جند الشام يصفونها بأنها الفتنة الكبرى، وهم على حق في هذا الوصف لأن آثارها شملت المجتمع الإسلامي كله، وأدت إلى انتهاء عهد الخلافة الراشدة وحكومة الصحابة وتعطيل مبدأ الشورى الذي فرضه القرآن، ومكنت من أن تقام خلافة وراثية صورية على نمط الحكم الكسروي والفرعوني والرومي، ووصفوها بأنها ملك وراثي عضوض، وما زلنا حتى اليوم نقاسي من نتائج تلك الفتنة الكبرى الأولى.

الفتنة الكبرى الثانية:

لا بد أن نذكر هنا ما يسمى بالثورة العربية الكبرى التي اشترك فيها بعض زعماء الأقطار العربية المشرقية ضد الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى بتحريض وتمويل من «لورنس» عميل المخابرات البريطانية، وأدت إلى هزيمة الإمبراطورية العثمانية وسقوط الخلافة وتمكين الدول الأوربية الاستعمارية، بريطانيا وفرنسا وإيطاليا، من إحكام سيطرتها على الأقطار التي كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية والسيطرة عليها باسم الانتداب أو الحماية أو الاحتلال.

ونحن نضيف اليوم أن ما حدث من قتال بين العرب والأتراك أثناء الحرب العالمية الأولى بتحريض من لورانس عميل المخابرات البريطانية، يجب وصفه بأنه **الفتنة الكبرى الثانية** لأنها مكنت الاستعمار من القضاء على الخلافة العثمانية التي كانت

رمزاً لوحدة الأمة الإسلامية، واستطاعت الدول الكبرى الاستعمارية في ذلك الوقت فرض التجزئة على الأقطار العربية ورسم الحدود التي تقضي على الوحدة الإسلامية بين شعوبها وتحقق أهدافهم وتسهل احتلالهم لتلك الأقطار وسيطرتهم عليها، ومازالت تمكنهم من إشعال نار الفتن العصرية من حين لآخر، وتنفيذ خططهم الاستعمارية للهيمنة على بلادنا وتسليم فلسطين للصهيونية وإنشاء دولة إسرائيل التي مازلنا نقاسي من اعتداءاتها ونخشى أن تبقى هذه الآثار مدة طويلة .

وسيرى القارئ في دراستنا أننا نقول: إنَّ العوامل التي أدت إلى الفتنة الكبرى الأولى نتجت عن رواسب الجاهليات الشرقية السابقة على الإسلام التي بقيت آثارها لدى بعض شعوب الأمصار مثل فارس والعراق والشام ومصر. إن هذه الشعوب ساعدت على فرض نظام ملك عضوض مشابه للنظم الجاهلية الوراثية التي لم يعرفوا سواها .

وهذه الرواسب هي بذاتها التي استغلتها المخابرات البريطانية لإشعال نار الفتنة الكبرى الثانية حتى أنها استطاعت بواسطة ذهبها وعميلها لورانس أن تستثير نزعات العنصرية و«القومية» والطائفية لدى كثير من العرب، وتدفعهم إلى الثورة على الحكم التركي والتحالف مع بريطانيا ضدها، وتمكين جيوش الاستعمار من احتلال فلسطين وطرد الأتراك منها لكي يسلموها بعد ذلك للعصابات الصهيونية التي تزداد سيطرتها كل يوم، ومازالت متحالفة مع القوى الأجنبية الطامعة (في أمريكا وأوربا).

وكما بينا بالنسبة للفتنة الكبرى الأولى فإن هذه الفتنة الكبرى الثانية مازالت آثارها باقية، ونخشى أن تبقى مدة طويلة طالما بقيت إسرائيل وحلفاؤها في أمريكا وأوربا يمارسون الهيمنة والتآمر على شعوبنا العربية والإسلامية غير العربية لمنع اتحادها وتضامنها وتعطيل نهضتها وتقدمها .

إن حكم الدولة العثمانية مثل حكم الأمويين والعباسيين كان استبدادياً لا يلتزم بالشورى التي عطلتها الفتنة الأولى، لكنها كانت تعتز بتطبيق الشريعة إلى حد كبير، كما أنها كانت رمزاً لوحدة العالم الإسلامي. وقد فقدنا الوحدة الإسلامية بسبب هذه الفتنة الكبرى الثانية، كما فقدنا تطبيق مبدأ الشورى بسبب الفتنة الكبرى الأولى .

وسنرى أن هناك فتنة كبرى ثالثة أدت إلى تعطيل الشريعة كما عطلت الشورى والوحدة قبلهما.

❁❁❁

يجب أن نشير هنا إلى أن الفتنة الكبرى الثانية تختلف عن الفتنة الكبرى الأولى من حيث إنها كانت بتدبير قوة أجنبية هي الاستعمار البريطاني الذي أشرنا إلى دوره في إشعال نارها واستفادته منها حتى اليوم.

أما الفتنة الكبرى الأولى فإن أسبابها كانت في نظرنا أسباباً داخلية وإن كانت ترجع إلى رواسب الجاهليات السابقة على الإسلام سواء في بلاد العرب التي كانت تسيطر على قبائلها نخوة جاهلية حذرنا منها الرسول الكريم، وكذلك فإن شعوب الأمصار التي كانت تحمل النصيب الأكبر من مسؤولية هذه الفتنة الكبرى الأولى هي شعوب البلاد التي استولى عليها المسلمون نتيجة توسع الفتوحات الإسلامية، ولم تحظ بتربية إسلامية على الشورى التي قام عليها مجتمع الصحابة في المدينة لكنها مع ذلك لم تكن شعوباً أجنبية بل كانت جزءاً من مجتمع الدولة الإسلامية الجديدة رغم أن أغلبيتهم كانت على ديانة أجدادهم، حتى قيل إن غير المسلمين كانت لهم الأغلبية العددية في هذا المجتمع الإسلامي الجديد، لذلك فإننا لم نعتبر هذه الفتنة الكبرى الأولى من نوع الفتن التي ندرسها في هذا الكتاب ولكننا نسلم بأنها فتنة كبرى لأنها أحدثت ثغرات وهذه الثغرات مازالت آثارها باقية وخطيرة في المجتمع الإسلامي والتي قاسى منها كثير من شعوبنا. وهي التي مكنت بريطانيا من إشعال الفتنة الكبرى الثانية بين الأتراك والعرب. كما أنها سهلت الفتن العصرية التي ندرسها.

إننا نعتبر أن الفتنة الكبرى الثانية التي قضت على الإمبراطورية العثمانية وأدت إلى انهيار الخلافة، ترجع أسبابها إلى رواسب التعصب العرقي الذي تمثل في جماعات القوميين الأتراك الذين استبدوا بالسلطة وأساءوا التصرف في بعض الأقطار التي كانت تابعة للدولة العثمانية، كما وجدت أيضاً لدى بعض زعماء الحركة العربية الذين تحالفوا مع العدو الاستعماري ضد الدولة العثمانية من أجل مطامع عنصرية وطائفية أو «قومية».

وموضوعنا كما بينا هو «الفتن العصرية» وأولها، كما قلنا، هي هذه الفتنة التي قضت على الوحدة الإسلامية. وفي نظرنا أنها بداية الفتن المعاصرة التي مازالت تحدث في العالم الإسلامي منذ ذلك التاريخ.

الفتنة الكبرى المعاصرة :

هذه الفتنة الكبرى الثالثة، وهي ثالثة الأثافي، لأنها ورثت جميع مساوئ الفتن السابقة وزادت عليها مساوئ عصرية مستوردة فهي لا تقتصر على تعطيل الشورى الذي بدأته الفتنة الأولى، وتمزيق الوحدة الذي ورثته عن الفتنة الثانية بل أضافت لها ما هو أشد من ذلك وأكثر وهو تعطيل الشريعة في كثير من دولنا العصرية.

إن تعطيل الشريعة أصبح هدفاً معلناً لبعض القوى الأجنبية الكبرى التي تتباهى بتحذير أصدقائها وحلفائها من حكوماتنا من مجرد ذكر الشريعة والالتزام بها وتعادي الدول التي تتجرأ على شيء من ذلك وتفرض عليها حصاراً سياسياً ومقاطعة تشارك في تنفيذها شعوبنا المجاورة الشقيقة.

هذه الفتنة الكبرى الثالثة تقاسي منها شعوبنا الآن، وتتمثل في المعارك التي تقع بين الشعوب وحكامها وبين حكام الأقطار المختلفة التي فرض عليها الاستعمار التجزئة كما فرض على كثير منها نوعاً معيناً من الحكام تدفعه قوى الهيمنة الاستعمارية إلى التنكر لإرادة الشعوب، والابتعاد عن كل طريق يؤدي إلى الوحدة بإثارة خلافات إقليمية بين الأقطار المختلفة.

وفي الفصل الخامس أشرنا إلى نموذج معاصر من هذه الفتن هي فتنة الخليج التي أدت إلى احتلال منابع البترول وتمكين الدول الكبرى من العودة بجيوشها وأساطيلها وإنشاء قواعد عسكرية في داخل عدد من أقطارنا وبحارنا المحيطة بها بموافقة بعض الحكام المخدوعين الذين صدقوا ادعاءاتهم بأنهم أصدقاء وحلفاء لهم، وأنهم جاءوا لحمايتهم ومساعدتهم، رغم أنهم يعلنون على الملأ من حين لآخر أنهم سوف يبقون، بحجة المحافظة على ما يسمونه مصالحهم القومية في السيطرة على منابع البترول في الخليج.

هذه الفتنة الكبرى الثالثة مازلنا نرى فصولها وحلقاتها المتشابكة وتطبيقاتها المتنوعة، ونخشى تفاقم آثارها بفعل المؤامرات الأجنبية وهى فتنة عصرية توسعنا في عرض كثير من أسبابها وآثارها .

❁❁❁

في هذا الكتاب بينا أن ما نسميه «الفتن العصرية» هو أحدث الأسلحة التي تستعملها قوى الاستكبار الإمبريالي والصهيوني ومازالت تستعمله لتمزيق أوصال أمتنا وشعوبنا ومنعها من مواصلة السير في طريق النهضة والوحدة .

لقد توسعنا في عرض مظاهر سياسة الاستكبار العالمي وخططه لاحتكار القوة والثروة واستغلال نفوذه وسيطرته على النظام العالمي الجديد لتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية والصهيونية، وهى تختلف عن الفتن التي شهدتها أمتنا في عصور التاريخ الإسلامي، من حيث إن هناك قوى أجنبية تساهم فيها مباشرة أو بطريق غير مباشر وتقوم فيها بدور كبير من حيث التمويل والتسليح والانحياز الإعلامي، ثم إنها هي التي تستعمل كل الوسائل لإثارة كل طرف على الآخر وتعمل على استمرارها أطول مدة ممكنة حتى تجني هي أكبر ثمارها على حساب جميع المتورطين فيها .

ومن أول أهداف القوى الأجنبية التي تذكي أوار تلك الفتن أنها تخفي دورها بكل وسائل التضليل والتمويه لكي تتحمل الأطراف العربية أو الإسلامية مسئوليتها وحدها أمام شعوبها وأمام الرأي العام العالمي .

هذه الفتن أحدث الأسلحة التي تتميز بأنها من أسلحة التحكم عن بعد، سواء في ذلك البعد المكاني أو البعد الزماني . مثل دور الاتحاد السوفياتى والأحزاب الشيوعية الأوربية ومخابرات الدول الغربية في إشعال الفتنة في الصحراء الغربية التي تبعد عنهم بآلاف الأميال ولكنهم يقومون بتمويل ما يسمى جبهة البوليساريو الانفصالية لإضعاف المغرب والجزائر معاً، لينتضوا عليها في النهاية ويستولوا على منابع ثرواتها .

أما البعد الزماني فهو ناتج عن أن القوى الاستعمارية تستغل مدارسها التبشيرية والأجنبية وعلاقاتها الاقتصادية والتجارية والإدارية في فترة الاحتلال الأجنبي لإيجاد طوائف وعناصر عميلة لها مرتبطة بها ثقافياً أو مالياً داخل الشعوب وتمكن لهذه العناصر احتلال مراكز القوى في بلادها المتعاونة معها لكي تتولى هي أعمال الشقاق والخلاف بتوجيه من حلفاء في بلاد بعيدة، وقد بدأت هذه الخطط منذ عهد قديم ولا يظهر أثرها إلا بعد أجيال عديدة بعد حصول تلك الشعوب على استقلالها القطري بقصد تحويل الاستقلال القطري إلى عقبة في سبيل التقارب أو الوحدة بين شعوبنا وتنفيذ خطط القوى الأجنبية في تقويض أركان استقلال الدول القطرية الناشئة أو تفريغه من محتواه حتى عاد نفوذها الثقافي والتجاري والسياسي والعسكري إلى بلادنا بعد أن خرج منها ظاهرياً في نظر البعض بحكم حصول تلك الأقطار على استقلالها.

وبسبب هذه الفتن قد تصل بعض الحكومات أو الشعوب إلى التخلي عن مزايا الاستقلال، وتقبل دولها الناشئة التبعية التي تفرضها القوى الأجنبية.

إن الفتن العصرية والمعاصرة ليست خاصة بأمتنا العربية الإسلامية، وإنما تشكو منها جميع شعوب العالم وخاصة منها الشعوب الناشئة والدول المتخلفة.

لكن الفتن التي تتعرض لها أمتنا تختلف عن مثيلاتها في مناطق العالم الأخرى بمكونات تجعل لها طابعاً خاصاً بها. وهذه المكونات هي:

أولاً: أن الصهيونية ومنظماتها الباطنة جعلت هدفها الأول هو السيطرة على منطقة الشرق الأوسط التي تضم العالم العربي والإسلامي. ولذلك، فإنها وضعت خططا طويلة الأمد لكي تحقق سيطرتها على شعوبنا وأمتنا.

ثانياً: أن أمتنا تتميز بأن الإسلام زودها بعقيدة خالدة توجب على أفرادها وهيئاتها وحكوماتها ودولها أن تصمد وتصبر وتصابر ولا تستسلم أبدا للعدو الذي يهاجم أرضها.

ثالثاً: أن الإمبريالية العالمية «الأمريكية والصهيونية حالياً» تعلن أنه بعد انهيار الاتحاد السوفييتي فإن الأمة العربية الإسلامية التي تسكن الشرق الأوسط هي العقبة

الأولى التي تهدد خططها لفرض سيطرتها على العالم كله. ولذلك، تجعل هدفها الأول هو إخضاع شعوبنا وأمتنا، وتستعمل لذلك جميع أنواع الأسلحة التقليدية والعصرية وفي مقدمتها سلاح الفتن العصرية.

إن هدف دراستنا هو تقديم اقتراحات تبدأ بها شعوبنا في السير نحو البناء الذاتي الذي يمكنها من التحرر من هذه الفتن وإطفاء نارها لكي تتفرغ لمواجهة الخطط التوسعية للقوى الأجنبية الإمبريالية المتحالفة مع الصهيونية.

وقد بدأنا ذلك بالتعمق في دراسة ماهية الفتن عموماً والفتن العصرية بصفة خاصة لاستكشاف جذورها ومنابعها والعوامل التي تؤدي إليها أو تزيد فيها والجهات التي تغذيها وتوجهها لتستفيد منها.

الفصل الأول خصصناه لدراسة ماهية الفتن وركزنا فيه على التمييز بين الفتن الذاتية التي يسيء فيها الناس لأنفسهم ويظلمونها بالانحراف والإلحاد بل والكفر الذي وصفه القرآن بأنه أكبر الظلم، وهو هنا ظلم الناس لأنفسهم وفتنتهم لأنفسهم.

وقد ضرب لنا القرآن أمثلة كثيرة لهذه الفتنة الذاتية مثل فتنة قارون الذي استكبر وتعالى على قومه وكفر بالله بسبب ما آتاه الله من غنى وثروة زعم أنه إنما حصل عليها بما لديه من «علم» ونسي أن الله يمتحن الناس بالنعمة كما يمتحنهم بالشدة، وأن الغرور بالنعمة هو ظلم لنفسه وفتنة ذاتية وكفر بالله الذي من بها عليه وهو الخالق المدبر سبحانه وتعالى.

ومن أكبر النعم التي يفتن بها الناس هي السلطة التي يترتب على الغرور بها ظلم الحاكم لنفسه بالتأله والكفر كما حدث لفرعون الذي قال لقومه «أنا ربكم الأعلى» وعلل ذلك بقوله: «أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي» ونسي أن الله هو الذي خلق الأنهار وخلق كل ما في مصر التي يدعي أنه ملكها، ناسيا أنه هو كذلك من خلق الله ولا يجوز له أن يتعالى على الإيمان بالله الواحد القهار ولا أن يدعي لنفسه الألوهية ويقول لقومه «ما علمت لكم من إله غيري» لمجرد أنه يمارس سلطة مطلقة وطغياناً وظلماً للناس جميعاً.

❁❁❁

وقد أشرنا إلى أن الفتن غالباً ما تكون مركبة تبدأ بالفتنة الذاتية تتبعها وتليها فتنة العدوان على الغير، فكل انحراف يصيب الإنسان يعتبر في شريعتنا ظلم من الإنسان لنفسه، وقد أشار القرآن إلى أن الكفر هو أشد أنواع ظلم الإنسان لنفسه.

كثير من الناس يكرهون ظلم الإنسان لغيره ويشهرون به بما يترتب عليه من عدوان القوي على الضعيف، وينسون أنه إنما جاء نتيجة حتمية لظلم القوى لنفسه لأن من يظلم الناس ليس إنساناً سوياً، بل إنه خاطئ ومنحرف عن جادة الصواب، وهذا الانحراف هو ظلم لنفسه أدى إلى ظلمه لغيره.

في نظرنا إذن أن ظلم الإنسان لنفسه يسبق دائماً ظلمه للغير وهنا يكون الظلم المركب هو أشد صور الانحراف التي تستحق الانتقام الإلهي.

وكل مظلوم يطلب من الله أن ينتقم له من ظالمه، يتمنى أن يكون الانتقام في صورة نصر للمظلوم على الظالم، لأن الإنسان خلق عجولاً يتمنى أن يكون نصر الله له بهذه الصورة التي يتمناها، وكثير من المظلومين يقتلهم الظالمون ولا يعيشون حتى يروا النصر الذي وعد الله به عباده المظلومين، وليس معنى ذلك أن الله قد أخلف وعده بنصر المظلومين الذين قتلوا ظلماً وعدواناً، لأن لا يرون الانتقام لهم في حياتهم، بل إن الله يمهل الظالمين في بعض الأحيان ولكنه لن يهملهم، وهو قادر على أن ينتقم للمظلومين الذين ماتوا ظلماً وعدواناً بعد موتهم وينصرهم بعد موتهم.

والحالة التي تهمنا هي مصير الأمم المستكبرة الظالمة المتعالية وكثير ممن يقاومونها يموتون قبل أن يروا الانتقام الإلهي ولا النصر الذي وعد به الله سبحانه وتعالى المظلومين على من بغوا عليهم، وقد بيَّنا أن الانتقام مؤكد لكنه غالباً يأخذ صورة انهيار الأمة الباغية من داخلها نتيجة لما يصيب مجتمعها من فساد وغنى وترف.

وقد أشار القرآن الكريم لهذه الحالة صراحة في قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾. ولا يوجد تصوير لهذا النوع من الانتقام الإلهي أجمل ولا أبدع مما ذكرته الآية الكريمة، وهو انهيار القواعد التي يقوم

عليها بناء الأمة الظالمة وانهيار المجتمع المتعالي المتقدم من داخله بسبب تصدع أركانه ويخر عليهم السقف فوق رؤوسهم. وتكون الكوارث التي تصيبهم أشد كلما كان الباغي عاليا متعاليا، وكلما كانت الأمة طاغية.

ويجب أن نتدبر قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

إن هذه الآية تشير إلى أن الانتقام الإلهي من الدول الباغية الظالمة ليس من الضروري أن يكون بهزيمتها في حربها العدوانية، بل إنه في أكثر الأحوال نتيجة انهيار داخلي يؤدي إليه فساد الطبقة الحاكمة فيها الغارقة في مظاهر الترف والغنى والفساد الأخلاقي الذي يصل إليه بسبب الغنى والثروة التي تحصل عليها نتيجة عدوانها على الشعوب الأخرى وانتصارها واستلابها ثرواتهم.

ولكن الشعوب المعتدى عليها يجب أن تساهم في انهيار عدوها الباغي المستكبر بصمودها وثباتها واستمرار مقاومتها رغم ما تتحمله من خسائر وما تقدمه من شهداء، وأن تكون معتمدة على الله مطمئنة إلى نصره مؤمنة بقدرته تعالى على أن يدمر عدوها بانهيار مجتمعه من داخله.

ومهما تكن خسائر المقاومة والصمود فإن خسائر الاستسلام والتسليم للعدو الماكر أكبر بكثير، لأن المتجبر لن يكتفي بهذا الاستسلام بل إن توقف المقاومة أمامه يغريه بمزيد من البطش والظلم والبغي الذي لا ينتهي إلا بإبادة الشعب الذي يهاجمه، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ.

فالحل الذي توصلنا إليه للخروج من الفتن التي تدبرها القوى الباغية لا يكون مطلقا بالاستسلام لها، بل يبدأ بالصمود والصبر واستمرار المقاومة رغم كل ما يتحمله الشعب المظلوم من مآسي وتضحيات. وعلى هذا الشعب أن يكون واثقا من حتمية انهيار عدوه، وأن يبقى هو صامدا ومقاوما أطول مدة ممكنة، واثقا بأن الله سينصره بانهيار عدوه من داخله كما شاهدناه في انهيار الاتحاد السوفييتي واضطراره للانسحاب من أفغانستان نتيجة لصمود المقاومة الإسلامية واستمرارها رغم كثرة تضحياتها.

وجميع شعوبنا الأصيلة ليس أمامها إلا طريق واحد هو استمرار المقاومة بجميع الوسائل ويجب أن نذكر أن شعب الجزائر العربي المسلم استمر يقاوم العدوان الفرنسي مائة وثلاثين عاماً ومازال مصمماً على المقاومة رغم كثرة التضحيات .

وقد أشرنا إلى أن استمرار المقاومة والصمود يستلزم البناء الذاتي المعنوي والاقتصادي الداخلي ، وحمايته بالمقاطعة الشعبية التي ندعو إليها ونعتبرها السلاح الذي لا يمكن الاستغناء عنه .

وهذه هي بداية الطريق إلى النصر . . .